لن نجد احدا يقف معنا او يرى بعيوننا ما نراه

استمرار عزل الفلسطينيين ومصادرة اراضيهم وحرياتهم سيحولنا الى دولة ابارتيد مثل جنوب افريقيا

■ بعد أقل من نصف سنة تكتمل اربعون سنة لحرب الايام الستة، الحرب التي غيرت حياتنا من طرفها الى طرفها الآخر. لقد تحولنا في نظر انفسنا الى امبراطورية في هذه المنطقة، اصبحنا حكام كل هذه المناطق المسماة ارض اسرائيل وفقا للانتداب، اضافة الى هضبة الجولان وشبه جزيرة سيناء، ولكن في الأساس، تحولنا الى الحكام الوحيدين للشعب المجاور لنا داخل الضفة الغربية والقطاع. وبعملية غريبة للغاية سيطرنا على الاراضي الفلسطينية بدعوى اقامة المستوطنات والمواقع للمستوطنين، الى حد أننا قطعنا الطريق أمام علاقات الجوار بين الفلسطينيين ومنعنا توسعهم الطبيعي.

في البداية كانت اغلبية الاسرائيليين تشعر بنشوة الانتصار. فقاموا بجولات في المناطق الجديدة التي تعرفوا عليها، وكانوا يعودون وهم مملوئين بشعور النشوة، يتصفحون التوراة ليتأكدوا مما رأوه على الطبيعة وما وعدتهم به التوراة. ويُنسون بأن ذلك هو احتلال. وقد سمعوا وزير الدفاع آنذاك، موشيه ديان، يتحدث عن «احتلال متحضر»، وعن علاقات جوار وعن تسامح، ولم يفهموا في ذلك الوقت أن علاقات الجوار لا تختلف عن العلاقة بين الحصان وراكبه. والآن، وبعد عشرات السنين من السيطرة على هذا الشعب الغريب، فهم الاسرائيليون، وليس القليل منهم فقط، أن الاحتلال هو احتلال، ولا يختلف عن أي احتلال آخر في العالم. ولكن حتى الآن يوجد كثيرون بيننا ما زالوا يتساءلون: ماذا يريد العالم منا؟ ولأي سبب تثور هذه الثائرة؟ (مثل المؤسسات السياحية التي حاولت أن تشرح في الاسبوع الماضي أنه لا يمكن عمل نماذج تشبه بها شخصيات «قاتلي الاطفال» التي التصقت بنا كشعب، وكيف يمكن محوها بواسطة الاعلام والدعاية والشرح الصحيح».

إن عملية الضغط وممارسة اساليب الاحتلال القاسية لا تزيد في نظر العالم عن تعبير لاانساني ولاسام تحاول اسرائيل أن تتهرب منه ومن الحقيقة البسيطة انه منذ شهر حزيران (يونيو) 1967 فان دولة اسرائيل سلبت اراضي بمساحات كبيرة من هذا الشعب الخاضع للاحتلال وأشعرته بمرارة العيش من الوسائل والطرق التي تنتهجها بواسطة أوامر الاستيلاء، والجدران، والحواجز، الضغط الاقتصادي، منع التجول والاعتقالات المتواصلة. لذلك فاننا نفعل خيرا لانفسنا اذا قللنا من معاناة الفلسطينيين التي ما زال الكثيرون منا يتجاهلونها.

حتى منتصف سنوات الثمانين كان بالامكان تغيير الوضع القائم، ولكن مع بداية موجة الاستيطان واقامة المستوطنات المكثفة واستخدام وسائل محكمة للاستيلاء على مئات آلاف الدونمات الفلسطينية، تحولت هذه الارض الى دولة ثنائية القومية، حيث يوجد فيها المحتلون يعيشون في ظروف ممتازة في حين يعاني من يخضع للاحتلال من ظروف سيئة للغاية يقوم فيها المحتل بسلبه كل ما يريد دون أي تحديدات أو حدود لرغباته ولا يُبقي له إلا الحيز الضيق جدا لحياته. إن عملية الانطواء أحادية الجانب من القطاع كان يمكن أن تتواصل حتى تنسحب على المنطقة الثانية (الضفة الغربية). إلا أن توقفها والتردد في استكمالها هو الذي أعطاها المظهر السلبي في حين زاد في انعزال الفلسطينيين أكثر داخل القطاع واستمرار عيش هؤلاء داخل سجن كبير واحد لا يخرجون منه ولا يدخل أحد اليه. الادعاء الذي ينشره حزب العمل بواسطة استخدام الوصف «غير قانوني»، الذي كان بالأساس قد أُعد لارضاء الادارة الامريكية، واتضح بعد ذلك انه لا يعني شيئا. فحتى لو تم اخلاء عدد من المواقع الاستيطانية كهذه، فماذا تكون هذه المواقع الى جانب مئات المواقع «القانونية» كما توصف؟ وكل ذلك ثار مؤخرا في أعقاب الحرب الأخيرة في الشمال حيث تم توسيعها وبناء عدد من البيوت والطرق الاخرى من خلال تكثيف هذه المواقع ومحاولة تقريبها من قانون الحكومة وتثبيتها.

فلسطينيون ينتظرون عند معبر بلدة شعفاط على اطراف القدس وذلك في انتظار دخول المدينة المقدسة

في محاولة لاصلاح شيء ما في هذه الأجواء الصعبة لا يمكن الاكتفاء ببعض الأحلام غير المنطقية عن اخلاء مواقع معينة أو انسحاب أحادي الجانب، بل لا بد من مواجهة واضحة ضد الشروط غير الانسانية التي فرضناها على حياة جيراننا، ابتداء من الجدار الفاصل والحواجز وانتهاء بتقييد الحركة ونقل البضائع وادخالها من المناطق واليها.

فاذا كان الوضع الحالي سيستمر كما هو ودون أي تغيير، فان العزلة الغريبة التي تواصلت على مدى الاربعين سنة الأخيرة ستتحول خلال وقت ليس ببعيد الى وضع لا يختلف كثيرا عما كان في جنوب افريقيا في أوج الابرتهايد، ومن كل أطراف العالم، من المحبين والكارهين، لن نجد أحدا يقف معنا ويرى بعينيه ما نراه بعيوننا.

يهودا ليطاني
كاتب يساري
(يديعوت احرونوت) - 2006/10/19

كلما نكلنا بالسكان، زادت مقاومتنا وزاد تأييد حماس كثيرا ولكننا لا نتعلم من التجربة

■ قبل نحو اربعة اشهر، وكنا ما نزال لا نعرف أن عالمنا يوشك أن ينقلب علينا، قصف الجيش الاسرائيلي محطة توليد الطاقة الكهربائية المركزية في غزة، وقطع التيار الكهربائي عن عشرات آلاف الفلسطينيين في القطاع. بين اولئك الذين قُطعت عنهم الكهرباء كان أناس يستحقون يقينا أن يجلسوا في الظلام اياما بل شهورا وسنين، أي نشطاء حماس، ولكن كان كثيرون ايضا لا يستحقون ذلك. مجرد عائلات فلسطينية مثلنا أجمعين، لكنها أكثر فقرا، وحياتها صعبة، وتعيش في ظروف غير انسانية. كان ذلك في الايام التي أعلن فيها رئيس الحكومة بتأثر تحت كل مكبر صوت طازج أنه لن يجري أي تفاوض مع حماس لاعادة جلعاد شليط. انه رئيس حكومة من طراز مغاير، لا يوجد عنده شيء كهذا، أي اعادة الأسرى الفلسطينيين مقابل جندي من الجيش الاسرائيلي، خرج في خدمة الدولة، واختطف جراء اخفاق غير صغير لقيادة المنطقة الجنوبية، كما تبين بعد ذلك في تحقيق أجراه الجيش الاسرائيلي. ما الذي كان يفترض اذا أن يجعل حماس، وفي الأساس قائدها على الارض، خالد مشعل، يطلق سراح شليط؟ كما هي الحال دائما. إثقال آخر على حياة مساجين قطاع غزة. النظرية الداحضة، التي تستعملها اسرائيل استعمالا متكررا، تقول اننا كلما أثقلنا على السكان المدنيين، وفي ضمنهم الأبرياء، ستُحدث عندهم مقاومة لحماس، هي التي ستضطرها الى اعادة شليط، مقابل ظروف حياة أكثر انسانية بقليل. في الواقع، كما نعلم جميعا، من تجربة لعشرات السنين، يحدث العكس تماما. كلما نكلنا بالسكان، زادت مقاومتنا، وزاد تأييد حماس كثيرا. ولكن لماذا نتعلم من التجربة؟ اننا نترك استخلاص النتائج للجنة التحقيق، التي تنجم دائما آخر الامر، وتُمكّن من أن تتهم اولئك الذين ترأسوا الاجهزة في السنين السابقة بكل شيء. منذ كثير من السنين ونحن نجعل حياة السكان في القطاع جحيما على الارض، وكلما ضربناهم أكثر، أطلق عدد أكبر من صواريخ القسام على سدروت ومستوطنات غلاف غزة. نحن نقصف من الجو والبر بنى تحتية مدنية بلا انقطاع، وهم بوقاحة شديدة، بدل أن يحاسبوا الارهابيين، يحاسبوننا.

نحن لا نحول الى سلطة حماس اموالهم، التي يستحقونها، لكي لا يشتروا بها السلاح، وهم يواصلون شراء السلاح، ويسلمون حياة السكان تماما. نحن على ثقة من أن الفوضى هي أفضل شيء لاسرائيل، وفي الواقع تضعف الفوضى دائما القوى المستعدة لاجراء محادثة ما معنا، وتقوي اولئك المستعدين لفعل كل شيء من اجل القضاء علينا. ما الذي نتعلمه من ذلك؟ أن الشيء الرئيسي في التصور الأمني الاسرائيلي، اذا ما وجد أساسا شيء كهذا، الذي يقول ان الفلسطينيين خاصة، والعرب عامة، يفهمون القوة فقط، هو قضية يجب الفحص عنها مرة اخرى على الأقل. ولكن بجدية وصدورا عن رأس مفتوح. لكن ما الذي استنتجناه من ذلك؟ أن الانفصال كان خطأ، وأن من الأفضل لو لم يتم. وعلى ذلك، يقول اولمرت لنفسه وهذا صحيح الآن (لأن الأمور عنده تتغير دائما مع تغير استطلاعات الرأي)، يجب على اسرائيل ان تقوم بأمرين: أن تخزن فورا الخطة الوحيدة التي كانت فيها رؤيا وشجاعة عامة، ألا وهي الانطواء، ومن جهة اخرى، النظر الى غزة والقطاع كالنظر الى مكان لم نتركه قط. أي ضربهم بأقصى قدر من القوة. صحيح أن هذا لا يساعد الآن، ولكن انتظروا انتظروا، اننا نستطيع أن نستعمل قوة اخرى وقوة أكبر، وعندها سترون كيف يركعون ويطلبون أن نكف. نحن نعد بفخر موتاهم ـ نحوا من 250 منذ اختطاف جلعاد شليط. ونحن نعد بفخر أكبر، كيف جعلنا حياتهم لا تحتمل، وبقي الآن أن يوجد الطرف الثاني من المعادلة فقط. لكنهم سادرون في شأنهم. يواصلون اطلاق صواريخ القسام.

لا يهم (اتباع) حماس والجهاد ما يحدث للسكان الأبرياء. لا يهم خالد مشعل هل يعاني أناس غزة من الجوع، ويقضون ايامهم بلا كهرباء. ونحن طول الوقت نعاضده ونعاضد كل من يهتم بتأجيج النار والكراهية بين اسرائيل والفلسطينيين.

يجب على اسرائيل ان تواصل محاربة الأنفاق التي تُحفر، والمسلحين الذين يختبئون في البيارات وفي البيوت، لكن يجب عليها من جهة اخرى ان تجد السبيل الى تحسين حياة المواطنين قليلا. لان هذا أكثر عدلا، ولكن لانه أكثر حكمة ايضا.

ياعيل باز ملماد
(معاريف) - 2006/10/19

انها الايديولوجيا وليس الديمغرافيا

مشكلة عرب 48 هي في محاولتهم تغيير طابع الدولة الى ثنائية القومية وليس في عددهم

■ في مقابلة مع «يديعوت احرونوت» بتاريخ 10/13 أوضح بنيامين نتنياهو أن تقليص مخصصات الاطفال في فترة حكمه قد تمخض عن «آثار وردود فعل ديمغرافية ذات مغزى كبير»، هذا بالاضافة الى التأثير المالي على الميزانية. وهذا ما قاله في حينه: «تقليص مخصصات الاطفال يؤدي الى كبح الخطر الديمغرافي. هذه اول مرة منذ اقامة الدولة تصبح فيها فجوة التزايد بين العرب واليهود طفلا واحدا. قبل تقليص المخصصات كانت الفجوة اربعة لصالح العرب.. القنبلة الديمغرافية التي تحدث الجميع عنها كخطر وجودي تلاشت ببساطة من خلال هذا التقليص».

من الممكن أن يعتقد القارىء ان انقلابا قد طرأ على الحياة اليومية بعد تقليص المخصصات في 2003 (أو اذا أردتم الليلية) للمواطنين العرب. الرجال توجهوا بجموعهم الى الصيدليات، والنساء الى العيادات النسوية، وعلى الفور حدث «رد فعل دراماتيكي» في مجال الولادات. ولكن نتنياهو أفرط في هذه القضية مثلما تعودنا عليه في مجالات اخرى بين الحين والآخر. الرقم الأهم في هذا السياق هو نسبة الخصوبة العامة في الوسط الاسلامي ـ عدد الولادات المتوقع لكل امرأة خلال حياتها. منذ اواسط الثمانينيات وحتى 2000 كان في الوسط الاسلامي استقرار في نسبة الخصوبة (4,6 ـ 4,7 للمرأة)، وهذا حدث قبل عهد نتنياهو في الاقتصاد بثلاث سنوات، وبدت مؤشرات هبوط تدريجي في معدل الخصوبة ليصل الى 4 للمرأة في عام 2005، هذا مقابل 2,6 ـ 2,7 عند المرأة اليهودية.

بناء على ذلك يصبح الفرق بين السكان اليهود والمسلمين من قبل تقليص مخصصات الاطفال «ليس اربعة لصالح العرب»، كما قال نتنياهو، وانما اثنان تقريبا (تضمين المسيحيين والدروز الذين حدث عندهم ايضا هبوط في نسبة الخصوبة لا يغير شيئا بسبب نسبتهم الضئيلة بين السكان). في عام 2005 كان الفرق 1,3 ـ 1,4 لصالح المرأة المسلمة.

الادعاء بأن تقليص المخصصات قد يؤدي الى تغيير فوري في نسبة الخصوبة يبدو تلقائيا من دون أساس. نسبة الخصوبة لدى السكان غير اليهود هبطت بسبب تغيرات في عاداتهم الحياتية وبتأثير المعايير اليهودية وربما حتى بتأثير الأقطار العربية (الذين توجد في بعضهم نسبة خصوبة أقل مما هو موجود لدى المسلمين في اسرائيل).

رغم الهبوط في معدل الخصوبة لدى السكان المسلمين، إلا أن هناك هبوطا متواصلا وبطيئا في وزن اليهود: وفقا للاحصائية السنوية كان اليهود في عام 2005، 76 في المئة من مجموع السكان مقابل 76,2 في المئة في العام السابق. السكان المسلمون ازدادوا من 16,1 في المئة الى 16,3 في المئة (الباقون هم من المسيحيين والدروز والآخرين). على أساس تقديرات مكتب الاحصاء المركزي (منشورات نيسان ـ ابريل 2005) يمكن التقدير بأن المسلمين سيصبحون 20 في المئة من مجموع السكان في عام 2025 (مجموع السكان غير اليهود سيصبح 30 في المئة).

عندما جرى الحديث عن «القنبلة الديمغرافية» التي تطرق اليها نتنياهو، كان المقصود في العادة تأثير ضم المناطق لاسرائيل أو اعادة اللاجئين في اطار تسوية سياسية أو على أساس لم شمل العائلات. الخطر الديمغرافي ضمن حدود دولة اسرائيل ما زال بعيدا.

المسألة الاخرى الأكثر إلحاحا هي علاقات الاغلبية والأكثرية في البلاد ـ استعدادية الأقلية لقبول القيم الأساسية للدولة. في دول غرب اوروبا يتزايد الخوف في السنوات الأخيرة في اوساط الاغلبية من عدم استعدادية الأقلية الاسلامية للانصهار في الثقافة الغربية والتكيف مع قيم المجتمع الاوروبي. ولكن الأقليات الاسلامية في بريطانيا وفرنسا وهولندا ودول اوروبية اخرى تقبل النظام القائم، وكل ما تطلبه هو الاحتفاظ بخصوصية دينية ـ ثقافية. في المقابل تتطلع الأقلية المسلمة في اسرائيل الى تغيير طابع الدولة من دولة يهودية الى دولة لكل مواطنيها، أي دولة ثنائية القومية في الواقع. هذه هي المشكلة الأساسية، وليست الديمغرافيا.

ابراهام طال
خبير اقتصادي
(هآرتس) - 2006/10/19

هزيمة حكومة اولمرت في حرب لبنان لا تقارن بفشل ما بعد الحرب الذي تسببت به

حزب الله وحماس تتسلحان وسورية تستعد، وايران تنهض اما جيشنا فهو مصابة بالكآبة

■ حتى التحقيقات العسكرية التي يجريها الجيش لا تنجح في تغطية الحقيقة: حرب لبنان الثانية كانت فشلا ذريعا. الفشل فيها لم يكن موقعيا ومحدودا، وانما هو فشل عام للجيش كله. الحكم فشل، والجسم الاسرائيلي السيادي فشل. حرب 2006 كانت حرب اخفاق من بدايتها الى نهايتها. ولكن بعد شهرين من سقوط آخر صاروخ كاتيوشا على اسرائيل أصبح واضحا أن الفشل في الحرب لا يُقاس بمستوى الفشل الكبير بعدها. رغم اللعنة التي جرتها علينا حرب لبنان الثانية، إلا أنها كانت بركة ايضا: هي أشعلت ضوءا احمر للتحذير، وكشفت أمام اسرائيل نقاط ضعفها ونواقصها وبرهنت للجميع أن هناك أمرا فاسدا ومتعفنا في مملكتنا. هي علمت كل من له عينان في رأسه بأن العفن خطير والفساد قاتل. الثقافة السياسية الهابطة قاتلة. الضحالة الفكرية قاتلة. الزعامة عديمة المسؤولية قاتلة. الصهيونية الادارية والخداع قاتلان. الازمة القيمية في اسرائيل تشكل خطرا على وجود دولة اسرائيل.

ضمن هذا المفهوم وفرت حرب لبنان الثانية لاسرائيل لحظة غريبة من التسامح. بصورة مأساوية جدا (160 قتيلا) وفرت لها فرصة تاريخية نادرة. الاخفاقات لم تتكشف عندما سيطرت قوات كوماندو سورية على الحرمون أو عندما شلت صواريخ «شهاب» محطة الخضيرة. أو عندما حصد غير تقليدي صغير حياة آلاف المواطنين في غوش دان. الاخفاقات تكشفت بالمقارنة مع هذه السيناريوهات الصعبة في ظل ظروف وملابسات مريحة نسبيا، حيث كان الجمهور قويا والاقتصاد مزدهرا والبورصة في تصاعد، وحيث ما زال روتين الحياة الطبيعية متدفقا بكل عنفوانه.

ولكن نافذة الفرص التي فتحتها حرب لبنان الثانية ليست نافذة فرص طويلة المدى، لا يعرف أحد متى سيحدث التدهور مجددا في جنوب لبنان الشيعي. ولا يعرف أحد متى ستندلع الحرب مع سورية. ولا يعرف أحد متى ستأتي لحظة الحقيقة في مواجهة ايران. ولكن الأمر الواضح تماما هو أن جبهة من الجبهات الاربع مع الاسلام المتطرف ستندلع في المستقبل المنظور. من الواضح تماما أن خطر الاشتعال في عدة جبهات في آن واحد هو مسألة حقيقية ايضا. وعليه فان نتيجة الحرب الفاشلة في لبنان كانت مزدوجة: هي قربت الحرب القادمة من جهة، ومنحت اسرائيل فرصة للاستعداد لها من الجهة الاخرى. كما أنها حثت المتعصبين في الشرق الاوسط على معاودة الهجوم وبقوة أكبر، إلا أنها ألمحت للاسرائيليين أن عليهم أن يستيقظوا من سباتهم وأن يتفحصوا انفسهم بسرعة قبل أن تأتي ساعة الاختبار الحقيقية.

المتعصبون يدركون نتائج الوضع الاستراتيجي الجديد الذي تمخضت عنه. هم يتحركون وفقا لذلك: حزب الله وحماس يتسلحان، وسورية تستعد، وايران موجودة في فترة نهوض. ومع ذلك، يدركون في اسرائيل الوضع الاستراتيجي بصورة لا بأس بها، ولكنهم لا يفعلون إلا القليل القليل. الجيش غارق في حالة كآبة وتيه. والسياسة مشغولة في البقاء والدسائس والتضليل. الجمهور حائر ومضطرب. ليست هناك صحوة ولا تفحص للوضع الداخلي أو استعداد جدي لما يأتي. الفشل في الحرب هو حدث جسيم، إلا أنه ليس حدثا قاتلا، فالأمم تفشل في الحروب وتتعلم من دروسها وتنهض من جديد. أما فشل ما بعد الحرب فهو حدث أشد خطورة وبلاء. لأنه يشير الى عجز هذا البلد عن التماثل للشفاء، وان جهاز المناعة عنده ضعيف ولا يتمكن من أداء دوره كما يجب. قوة حياته آخذة في الأفول.

ليس الوقت متأخرا جدا بعد. ما زالت هناك امكانية لاستغلال صدمة الصيف من اجل تغيير المسار. وما زال من الممكن تحويل الاخفاق في عام 2006 الى نقطة انطلاق لتعديلها. ولكن الايام تمضي، والاحتمالات مفتوحة، والأفق آخذ في التكدر، وفشل الحرب الذي منيت به حكومة اولمرت لا يُقارن بفشل ما بعد الحرب الذي تسببت به.

آري شبيط
كاتب يساري
(هآرتس) - 2006/10/19

هل يعتبر عالم القاعدة اخطر من عالم الحرب الباردة الذي نشر فيه 70 صاروخا نوويا

مثلث الرعب: بن لادن وايران وكوريا الشمالية مخيف من الناحية النفسية أكثر منه من الناحية العملية

■ «التجربة النووية الكورية حولت العالم الى مكان أكثر خطورة» ـ هذا هو العنوان الذي اختارته مجلة «التايم» الامريكية لغلافها الاسبوعي. الذهول من الجرأة التي تصرفت بها كوريا الشمالية خارقة الاتفاقات والتفاهمات الصامتة بينها وبين الأسرة الدولية، ينضم الى الفشل المتواصل منذ مدة طويلة في المفاوضات الدولية مع ايران والى التقارير الصعبة التي ترد من العراق وافغانستان بصورة يومية.

الاستنتاج واضح كما يبدو للوهلة الاولى. العالم اليوم ـ الذي يتجول فيه حسن نصر الله واسامة بن لادن وأيمن الظواهري أحرارا ويخططون لقتل المواطنين الأبرياء ـ هو مكان أكثر خطورة مما كان عليه قبل خمس سنوات عشية عمليات الحادي عشر من ايلول (سبتمبر)، وهو بالتأكيد أشد خطورة مما كان عليه في حقبة الحرب الباردة عندما ضمن توازن الرعب بين المعسكرين أمنا نسبيا. ولكن ذلك ليس صحيحا بالضرورة.

صحيح أن الشعور في الولايات المتحدة منذ الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) 2001 هو أن «كل شيء قد تغير». الحياة الوادعة التي تمتع بها المواطنون الامريكيون مرت الى غير رجعة، والموت أصبح متربصا خلف كل زاوية على صورة ارهابي ملتح. عمليات القاعدة وتشعباتها في اسبانيا والاردن والسعودية واندونيسيا والمغرب ومصر وبريطانيا زادت من الشعور بأن العالم ـ وليس امريكا فقط ـ قد أصبح مكانا يصعب الفرار فيه من تهديد الارهاب.

إلا أن تحليل المعطيات الذي قام به البروفيسور جون ميولر في مقالة مثيرة تحت عنوان «هل ما زلنا تحت تهديد الارهاب؟» في عدد تشرين الاول (اكتوبر) من «فورين أفيرز»، يشير الى أن عدد الاشخاص الذين قُتلوا في العالم، باستثناء العراق وافغانستان من الاعمال الارهابية التي قام بها تنظيم القاعدة وفروعه منذ ايلول (سبتمبر) 2001 أقل من عدد الامريكيين الذين يغرقون في حماماتهم في سنة واحدة.

احتمال موت الامريكيين من العمليات الارهابية هي 1: 80 ألفا، وهي تشبه احتمال الموت نتيجة لجسم غريب يأتي من الفضاء الخارجي. وحتى لو نجح الارهابيون الذين يتحركون باسم الله في تنفيذ عملية مثل عمليات الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) كل ثلاثة اشهر في كل سنة من السنوات الخمس القادمة، ستكون احتمالية موت المواطن الامريكي جراءها 0,02 في المئة، وهي أقل بكثير من احتمالية الموت جراء حوادث الطرق.

هذه المعطيات لا تمنع الادارة الامريكية من استخدام فزاعة الارهاب في كل صباح، واتخاذ اجراءات هائلة مكلفة جدا متجاوزين حقوق الانسان (يتنصتون على الهواتف ويتجسسون على المواطنين). شهادة رئيس الـ اف.بي.آي السابق، روبرت مولر، تشير الى أن أمن المواطن الامريكي لم يكن اسوأ مما هو عليه الآن (شهادته أمام الكونغرس)، وقال انه قلق جدا من التقارير التي ترد حول قدرات القاعدة وخلاياها النائمة في امريكا بانتظار وصول التعليمات.

ولكن، رغم كل الجهود التي تبذل والاموال الهائلة التي صُرفت، إلا أن السلطات الامريكية والغربية لم تنجح في وضع يدها على خلية واحدة للارهابيين الاسلاميين، ولم يتم تقديم أحد للمحاكمة في امريكا بتهمة العضوية في تنظيم ارهابي أو التخطيط لعملية ارهابية.

اذا كان العالم ـ كما تشير المعطيات الجافة ـ ليس أكثر خطورة مما كان عليه في نهاية القرن الماضي، فلماذا اختلف الشعور اذا؟ لماذا يبدو الارهاب الاسلامي وكأنه متربص خلف كل زاوية فوق المعمورة؟ السبب هو على ما يبدو طابع هذا الارهاب. هو لا يشبه الارهاب المحلي، مثل ارهاب م.ت.ف الفلسطيني، والـ «اي.آر.اي» في ايرلندا، أو الحركة الباسكية. «الارهاب» الاسلامي يتحرك خارج حدوده المحلية ولا يعرف أحد مسبقا أين ولماذا يفعل ذلك.

نحن تفهمنا ياسر عرفات، وإن لم نوافق على اعماله «الارهابية». أما اسامة بن لادن فلا ننجح في فهمه. هو مخيف لأن المواطنين في الغرب لا يفهمون ماذا يريد منهم، وماذا يريد أن يحقق من خلال عملياته الرهيبة (كما في اسبانيا مثلا). ليس واضحا لنا ما هو مبرر اعلان الحرب الجهادية على الغرب وقيمته. الخوف من المجهول عادة ما يكون أشد من كل المخاوف، وهذا ما يقف وراء الشعور بأن الارهاب خطير جدا.

نجاح بن لادن الأكبر يكمن في ترسيخ الشعور بأن العالم أشد خطورة فقط لأن القاعدة تستخدم فيه الارهاب من دون تمييز. إلا أن الواقع مختلف تماما وهو أكثر أمانا مما كان عليه في القرن السابق مع التحفظات.

القرن العشرون كان أكثر القرون دموية في تاريخ الانسانية (180) مليون انسان قُتلوا نتيجة للحروب وهذا يشمل الحربين العالميتين الاولى والثانية. وحتى عندما أوشكت الامبراطورية السوفييتية على الانهيار اندلعت حروب دموية بما في ذلك في اوروبا (يوغسلافيا). في القرن العشرين حدثت 16 حربا، وحصدت أرواح الملايين. في السنوات الأخيرة أضيف للخوف من الارهاب العالمي قلق شديد من امكانية انضمام دولة متطرفة الى النادي النووي مثل ايران وكوريا الشمالية التي لا يفهم العالم لماذا يقوم زعيمها بصرف المليارات على مشروعه النووي، بينما يموت الناس في بلاده جوعا.

إلا أن الواقع مغاير تماما للمشاعر والتخيلات التي تقض مضجع الغرب، فايران لا تملك سلاحا نوويا بعد، وكوريا الشمالية لا تملك قنابل قابلة للاستخدام حتى الآن، الأمر الذي يحتاج لفترة طويلة لانجازه. هذا لا يعني أن القلق ليس مبررا، ولكن المبالغة فيه الى درجة كبيرة هي الامر الذي لا يمكن قبوله.

هل يعتبر عالم بن لادن وأتباعه أكثر خطورة من ذلك العالم الذي وضعت فيه 70 قنبلة نووية على أهبة الاستعداد إبان الحرب الباردة؟ وهل عالم الانتحاري الذي يفجر نفسه في مترو الأنفاق أشد خطورة من عالم الحرب النووية التي أوشكت على الاندلاع بعد قيام الاتحاد السوفييتي بنصب صواريخه في كوبا؟

عليه، يبدو أن الجواب على سؤال اذا كان العالم أكثر أمنا، واضح، إلا أنه ليس بذي صلة لأن الامر يتعلق بمشاعر نابعة من المجهول وليس من الممكن محاربة المجهول بالمنطق والحقائق.

نفس الشيء يحدث عندنا ايضا عندما نخاف من حسن نصر الله أو خالد مشعل حيث لا توجد أهمية لحقيقة أن وضع اسرائيل الأمني أفضل من أي وقت مضى لأن الامر الحاسم هنا هو ذلك الشعور بأن حياتنا في خطر، آخذ في التزايد.

اسامة بن لادن

رؤوبين بدهتسور
كاتب دائم في الصحيفة
(هآرتس) - 2006/10/19

كيان سياسي واحد غربي نهر الاردن

حان الوقت لانشاء الجمهورية الثانية في اسرائيل

■ ليس عبثا أن دافيد بن غوريون كان يكرر الاعلان في سني حياته الأخيرة بأن «دولة اسرائيل لم تقم بعد». لست أخاله بكلامه هذا تكهن بما قد ينتج عن ذلك ويلزم ذلك مع مضي الايام. اليوم، على أية حال، يبدو من الواجب علينا أن نحرر أنفسنا وأن نبني لنا ولأبنائنا، آخر الأمر، دولة قد تقبل كل ساكنيها كأبناء وكل أبنائها كمواطنين. اذا شئتم: جمهورية اسرائيل الثانية.

الحديث عن تغيير بعيد المدى في بنية المؤسسة العامة. الحديث عن انشاء بنية مؤسساتية ـ سياسية تجمع غرب الاردن كله، تضمن سلامة البلاد كلها وتحصن وحدتها الاقليمية، والاقتصادية والادارية، مع التعبير التلقائي عن اقاليمها المختلفة وتقديم تطورها المادي، والاقتصادي والثقافي التلقائي.

الحديث، من جهة اسرائيل، عن احلال نظام رئاسي، يقوم في أساسه على طراز الولايات المتحدة، يشتمل على تقسيم المنطقة الى ألوية ذات ادارة مستقلة وتُحكم حكما ذاتيا؛ مع مؤتمر يمثل قوى سياسية في القطر كله ومجلس شيوخ يمثل قبل كل شيء وحدات اقليمية ثانوية؛ مع محكمة عليا تقضي وتحكم في القضايا الدستورية المبدئية؛ مع رئيس قوي، ذي صلاحيات ملائمة، يترأس الحزب الفائز في الانتخابات العامة ويختار لمجلسه الوزاري أناسا كما يرغب أو كما يشاء؛ مع دستور مكتوب للدولة كلها، محل نظام برلماني ـ ائتلافي معوق.

الفكرة الموجهة هي فكرة وحدة صادرة عن الكثرة (كما كُتب بكلمات لاتينية على ورقة الدولار الامريكية)، وحصر الصلاحيات في مستوى «السقف» وتوزيع الصلاحيات في مستوى «القاعدة»، وذلك على نطاق قطري عام. في هذا الاطار من النظام الرئاسي ـ الفيدرالي، القائم على دستور مكتوب، يمكن أن نشهد نسيجا لعدد من الألوية المحكومة ذاتيا، بالاضافة الى لواء العاصمة، لواء القدس، كلواء اداري ـ بلدي قائم بذاته في داخل البنية الفيدرالية (مثل «لواء كولومبيا» في الولايات المتحدة، أو مثل اللواء الفيدرالي لبيونس آيريس في الارجنتين).

عندما يصف المؤرخ الامريكي هنري أدامز في التطور السياسي للولايات المتحدة مفترق طرق يشبه ذاك الذي نواجهه اليوم، يتحدث عن الخط الحدودي بين عالمين: «مات واحد، ولا يملك الآخر قوة لأن يولد». تشبه ذلك الصورة التي يثيرها الشاعر شاؤول تشارنخوفسكي بكلماته: «في وقوفي بين الحي وبين المحتضر». على خط فاصل مثل هذا نقف نحن ايضا، كدولة وكمجتمع، الناطقين بالعبرية مثل الناطقين بالعربية. عن جانبي حد أسوار، أو حد دماء.

الطراز المقترح لتقويم الواقع الدامي الذي نوجد فيه ولتغييره هو طراز ثوري، لكنه لا يحمل عبء الايديولوجيا. فهو لا يجر وراءه طائفة كبيرة من الصياغات التنظيمية. وليس هو مشبعا بالحزن الأبدي، كما لا يتبجح بالتبشير بمقدم مخلص ما. انه يقوم على النظر في التطور التاريخي في هذا القسم من عالمنا، وعلى ملاحظة الاختلالات العميقة في «الوضع الاسرائيلي»، وعلى استخلاص العبر من تجربة زماننا ومكاننا، وكذلك ايضا على التجربة التاريخية لأزمان اخرى واماكن اخرى، وعلى الايمان بامكانية حل عملي ـ غائي للمشكلات ـ الرئيسة للوجود المشترك ـ لا «تعايش» يحاول الظهور بمظهر البر، بل «الوجود الواحد» ـ ككيان سياسي ـ قومي ـ اقليمي واحد.

هذا الايمان في حد ذاته فيه قدر من التفاؤل، ربما يُعبر عنه بمجرد النظر في البنية المجددة، الاخرى لاسرائيل، لا كنظر الى «هيكل ثالث» ـ وهو مصطلح في ذاته مثقل بشحنة اسطورية ـ لرؤيا آخر الزمان ويشتمل في داخله على توقع الخراب على شكل قضاء وقدر صارمين ـ بل ببساطة كالنظر الى جمهورية، هي جمهورية اسرائيل الثانية.

إن تحقيق هذه الجمهورية الجديدة ليس مسألة عاجلة، وليس مسألة استغلال فرصة برلمانية لحظية في بنية ائتلافية فاسدة. بمقابلة ذلك فانه يوجب انتظاما سياسيا جديدا وتكتل قيادة جديدة، مفصولة عن المؤسسة السياسية الموجودة، ومتحررة من كل صلة بالاحزاب القائمة، يملأها الشعور الوطني، والوعي العام والاحساس بكونها مرسلة، وتؤمن بالقدرة على تحلل المجتمع الاسرائيلي وموازيه «وراء خط التماس».

إن قيادة من هذا القبيل سيكون لها احتمال أن توجد قاسما مشتركا هو الأوسع لجماهير كاملة ضاقت ذرعا بالأطر الفكرية والسياسية الموجودة، وفي ضمنهم اولئك الذين يتحصنون في غلو خلاصي و/أو بطولة منتحرين فتاكة، يائسة. ستستطيع قيادة كهذه أن تصوغ معسكر مواطنين من أبناء جميع الطوائف، والأديان والطبقات، يرثون ويورثون نظام الحكم الائتلافي الفاسد والفاشل، والمختلف والمثير للاختلاف، على اختلاف احزابه وتقسيماته، من اجل تقديم البلاد كلها، على اختلاف سكانها، وعلى اختلاف أبنائها ـ مواطنيها كلهم، الى مجالات لا يُتنبأ بها من الأخوة، والنماء والعظمة. إن معسكرا كهذا فقط سيستطيع أن يحمل معه احتمالا حقيقيا للمصالحة الحبلى بالامور المستقبلية بين قوى متخاصمة، يثقلها ميراث ـ العداوة ـ والانغلاق، يصارع بعضها بعضا على بلاد نزاعنا. إن مجرد ظهوره سيكون فيه ما يجدد الأمل والايمان في قلوب كثيرين أخيار ـ سواء أكانوا من سكان البلاد أو من تاركيها أو محييها من بعيد ـ ويشجعهم على العمل المشترك من الابداع، والنضال والتجدد.

ولكن لا يجب أن ننسى أن النهاية السلمية للصراع على ارض الخصومة هذه عندنا، مثل مفتاح السلام في المنطقة كلها ايضا، متعلق قبل كل شيء، وبقدر حاسم، باسرائيل، حتى لو كان ذلك من اجل انها أشد القوى بأسا. والشرط الحقيقي للسلام الحقيقي، السلام الذي يفتح النوافذ، والأبواب والقلوب، سواء داخل ارض اسرائيل أو في المنطقة، هو التغيير الأساسي التام للقيم القومية. اذا شئتم: شحن البطاريات من جديد. واذا شئتم: تبديل البرمجة. وربما الأحسن أن نقول: نقل القاطرات عن سكة القيم الدينية، والطائفية والعنصرية الى سكة القيم القومية، والوطنية والمواطنية.

لأن السلام الحقيقي، والواسع والمفتوح في منطقتنا الحميمة، لا يمكن إلا في أطر السلام العبري. سلام يُعبر عن عدم أدلجة الواقع الاسرائيلي، ويصادر منه طابع الحكم الايديولوجي ويحرره من القرض السكني الديني، ومن الخضوع لتركة «مضى